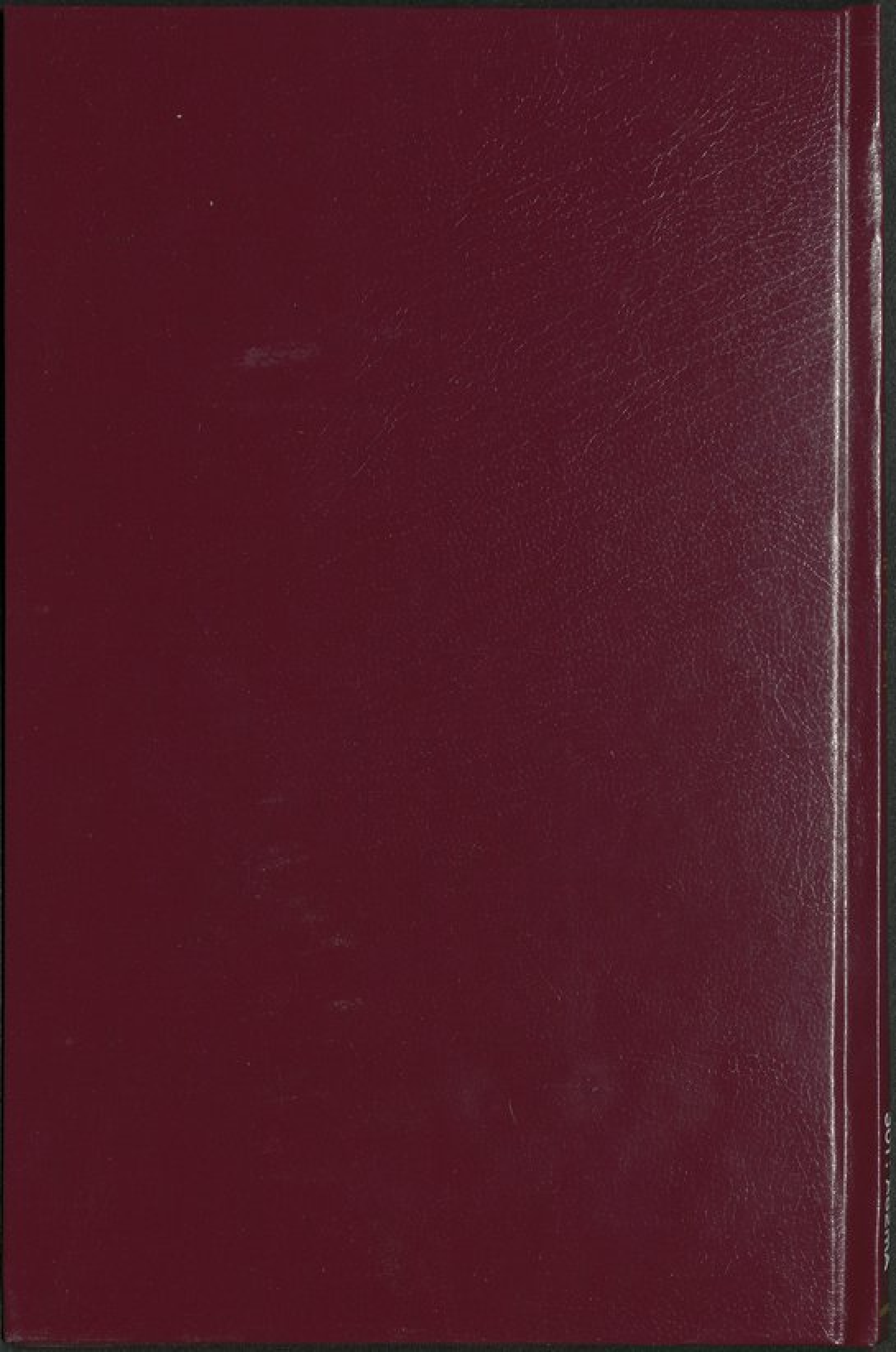
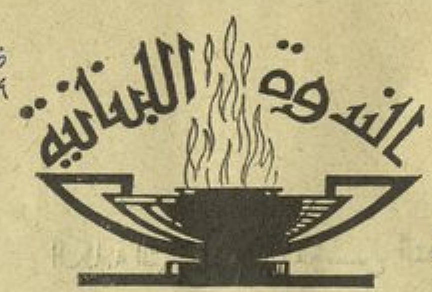


تقدمة
للمكتبة الجامعة
الاميركية الزاهرة
في ٢٣ آب سنة ١٩٥٣
المؤلف

محاضرات



الناشر
ميشال اسمر
مؤسس الندوة
السنة السابعة - النشرة
٢٨ شباط سنة ١٩٥٤
1953

المكتب
٢٨ شارع بطرس كرامه
حي اليسوعية - بيروت
المراسلات باسم الناشر
ص. ب. ١١٤٥
تلفون

المجتمع بين التطور والبناء

محاضرة الاستاذ

اسعد الاشقر

القيت في ٢٣ شباط ١٩٥٣
1953 23

الكلمة التي قدم بها مؤسس الندوة لمحاضرة الاستاذ اسد الاشقر

•

ايها الحفل الكريم ،

محاضرة الصديق اسد الاشقر من على منبر الندوة هذا المساء فيها من بذور الرسالة الحقة ما تستسيغه القلوب العامرة بالايمان .

وانا لو رددت على مسامعكم مقطعاً صغيراً من خطاب القاه الاستاذ الاشقر في دار البطريركية المارونية بالقاهرة في الحفلة التي اقيمت لمناسبة عيد مار مارون في ٩ شباط عام ١٩٤٦ ، لو ردّدت على مسامعكم هذا المقطع وقد جاء فيه حرفياً :

« سياسياً يمكن ان يحرر الشعب بالجملة، اما فكرياً فلا يمكن ان يحرر الا فرداً فرداً »،

انا لو ردّدت هذا المقطع فلكي ألفتكم الى ان الغاية من حديث الليلة هي غاية تحرر فكري . ونتمنى ان يكون فاعلاً في قلب كل فرد يقظ، يودّ لو يعايش الحقيقة حقيقته مبتعداً عن كل سطحية بليدة بلهاء مريحة .

•

وفي هذا الجو من الرسالات العبقرية تحضرنا مأساة بولس الرسول ، وهو في طريقه الى دمشق . ان الصورة التي توحيها طريق دمشق ، ايها السادة ، هي رمز انتصار الفكر والروح .

يكون الانسان سائراً في هذا الطريق مطأطىء الرأس كالدابة نحو غاية ملتبسة حقيرة ، واذا بالحقيقة تجبهه وبالبريق يصعقه .

ذاك فعل النعمة وذاك ايضاً فعل الجهد والتفتيش عن الحق .

اما النعمة فمن بركة الله واستحقاق الانسان، واما الجهد فهو عمل الانسان في سبيل اكمال انسانيته . ويا حبذا لو كنا جميعاً في هذه القاعة نسعى لاكمال انسانيتنا افراداً افذاذاً واعضاءَ خيّرين في مجتمعنا.

●

واودّ ختاماً لو اتلو على مسامعكم ترجمةً وضعها ميشال سرور في يومياته لفصل من كتاب نيتشه « هكذا تكلم زرادشت » عنوانه «الخالق» .

قال المفكّر الالماني الكبير :

« في ذات يوم قال فحم المطبخ للماس :

« ما هذه الصلابة فيك ؟ ألسنا من مصدر واحد قريبين ؟ »

وانا اسألكم ايها الاخوان : « ما هذه الرخاوة فيكم ؟

او لستم اخواني ؟ لم هذه الطراوة والخنوع ؟ لم تنكرون ذاتكم الى هذه الدرجة وتغذون التفاني في قلوبكم ؟ لم نظراتكم بليدة لا يسطع الهدف في شعاعها ؟

وان لم ترغبوا في حمل الرسالات وفي فرضها ، فكيف يمكنكم ان تنتصروا معي ؟

وان كانت صلابتكم لا تريد الاشعاع والقطع والحفر ، فكيف يمكنكم ان تخلقوا معي ؟

اخاطبكم هكذا لان الخالقين قساة . ويجب ان تبصموا يدكم على الدهور كما تبصمونها على الشمع السائل ببساطة طبيعية .

ان القاسي وحده هو متفوق .

وها انا اعطيكم مبدأ جديداً تسيرون عليه :

كونوا صلاباً . »

ايها السادة ، منطق فحم المطبخ هو منطق التطوّر، ولهجته لهجة المتطورين. فلتكن النخبة حبات ماس منطقها الخلق ولهجتها الصلابة . وهكذا تكون محاضرة ضيف الندوة الليلة : « المجتمع بين التطوّر والبناء » قد نزلت في ارض خصبة واثمرت في قلوب عامرة .

سيداتي ، سادتي

المعضلة الاجتماعية القومية او معضلة المجتمع القومي هي من اهم المعضلات الفلسفية التي تشغل الانسان منذ وعى الانسان اجتماعيته الحتمية .

فقد لا يساويها بين معضلات الانسان الا معضلة ما وراء الطبيعة .

ومع ان الثانية قد اخذت الافضلية في فكر الانسان فترة طويلة من الدهر عندما تحول الانسان الى مخلوق ديني par excellence فقد عادت المعضلة الاجتماعية الى اخذ الصدارة في مشاغل فكر الانسان في القرنين الاخيرين . وقد بدأت هذه الحياة الاجتماعية تكون ، على الاقل ، نصف الغاية من وجود الانسان ، او هي تكون ، مع النصف المفترض ، كلا متساوياً في جزئيه الواقعي والغيبي. والذي اعطى اجتماعية الانسان هذه القيمة الكبرى هي حتميتها . فالانسان، وان ناسكاً متصومعاً متشخرباً ، فهو يتفاعل مع المجتمع باخذ وعطاء ولا يقدر المتنسك مهما ابتعد عن الناس ، ان يكون خارج المجتمع . فكره يحيا في الناس وفكر الناس يحيا فيه .

وقد مر المجتمع الانساني ، منذ وعى اجتماعيته ، في اختبارات ليس لها عد ، واجتاز مراحل حربية ودينية وعلمية لسنا في مجال التبسط فيها ، وكان في اختباراته ومراحله المتنوعة يتكامل تكويناً وبلورة حتى ارتكزت معضلته على واقع قومي متين ، هو آخر مرحلة وصلت اليها الانسانية في تصاعدها على ذاتها .

ان الوجدان القومي La conscience nationale عند الامم الغربية هو اقوى عامل نفسي اجتماعي في هذا العصر ، ومع انه لم يعطل الوجدان الديني ، فانه تغلب عليه كواجب محتم للبقاء والتفوق . ولولا هذه الغلبة التي فاز بها الوجدان القومي لما كنا نرى الكاهن الفرنسي الكاثوليكي يحارب الكاهن الالماني الكاثوليكي بدون تبكيت ضمير .

جاء في مقدمة (نشوء الامم) : (١)

« ان الوجدان القومي هو اعظم ظاهرة اجتماعية في عصرنا ، وهي الظاهرة التي يصطبغ بها هذا العصر على هذه الدرجة العالية من التمدن.

---

١ – انطون سعاده: نشوء الامم، 1938

ولقد كان ظهور شخصية الفرد حادثاً عظيماً في ارتقاء النفسية البشرية وتطور الاجتماع الانساني. اما ظهور شخصية الجماعة فاعظم حوادث التطور البشري شأناً وابعدها نتيجة واكثرها دقة ولطافة واشدها تعقداً، اذ ان هذه الشخصية موكب اجتماعي – اقتصادي – نفساني يتطلب من الفرد ان يضيف الى شعوره بشخصيته شعوره بشخصية جماعته، امته، وان يزيد على احساسه بحاجاته احساسه بحاجات مجتمعه وان يجمع الى فهمه نفسه فهمه نفسية متحده الاجتماعي وان يربط مصالحه بمصالح قومه وان يشعر مع ابن مجتمعه ويهتم به ويودّ خيره، كما يودّ الخير لنفسه.

كل جماعة ترتقي الى مرتبة الوجدان القومي «الشعور بشخصية الجماعة»، لا بد لافرادها من فهم الواقع الاجتماعي وظروفه وطبيعة العلاقات الناتجة عنه. وهي هذه العلاقات التي تعين مقدار حيوية الجماعة ومؤهلاتها للبقاء والارتقاء، فبقاؤها غامضة يوجد صعوبات كثيرة تؤدي الى اساءة الفهم وتقوية عوامل التصادم في المجتمع فيعرقل بعضه بعضاً ويضيع جزءاً غير يسير من فاعلية وحدته الحيوية ويضعف فيه التنبه لمصالحه وما يحيط من بها اخطار من الخارج».

وموضوع هذه المحاضرة هو ان ندرس ونحلل خاصة رئيسية من خصائص المجتمع القومي هي خاصة البناء الخلاق، وان نقصي عن ميدان المجتمع اعتقادات اجتماعية تعيث فيه فساداً وتخريباً واهمها هو الايمان بسنة التطور.

ان لنا معضلة اجتماعية تمتد جذورها الى مئات طويلة من السنين، وهذه المعضلة الحيوية التي على حلها يتوقف امر حياة او موت، لا يمكن ان تحلّ نفسها بنفسها كما وهم اكثر المتعلمين والامّيّين في شعبنا، وان تركها للاقدار والصدف او لسنة التطور الغاشم يزيد الشعب جهلاً بها جيلاً بعد جيل حتى تنحل اخيراً باضمحلال الشعب كله.

ومهمتنا في هذه المحاضرة هي ان نبين خطر الاستسلام من جديد الى سنة التطور، تلك الآلة العتيقة التي نبذها شعبنا منذ آلاف السنين، وان نهيب بهذا الشعب، المحاول النهوض، ليتخذ من البناء الخلاق قوة جديدة لنهوضه وتجديد معالم حياته.

لقد اجتاحت بلادنا، مع موجة

العلم الكتبي الذي جاءنا به المبشرون الاجانب، طائفة من التعابير الاجتماعية الفلسفية استعملناها في الخمسين السنة الاخيرة من حياتنا الفكرية دون ان نفقه حقيقة معانيها فكأنها مفردات شعرية، او تعابير ميتافيزيقية لاتدخل في صميم الحياة.

اهم هذه التعابير ، التطور والتقدم، النهضة والاصلاح ،الاستقلال والسيادة ، كلمات كم ترددت في خطبنا وكم قرأناها في جرائدنا وكم نحن مفتقرون ،حتى الآن، الى درسها على نور واقعنا.

واخطر هذه الكلمات الشائعة بيننا هي كلمة «التطور». فالكلمات الاخرى اسيء فهمها واستعمالها ، وابتذلت الى درجة افقدتها قوة معانيها، اما استعمال كلمة التطور ، فقد تعدى الابتذال الى الاساءة .

كلمة يستعملها غيرنا لتنوير الذهن وايضاح الفكر ، امست عندنا تياراً فكرياً انهزامياً يثبط عزائمنا ويبلبل فكرنا ويشجع فينا روحاً اتكالية ترمي مسؤولية الاصلاح والتقدم إمّا على القضاء والقدر ، واما على نواميس طبيعية ليس لنا في تسييرها اية ارادة .

تيار فكري هدام تغلغل في مجتمعنا ثم تحول الى عقلية امتثالية ضعيفة تسير في اتجاهات مجهولة مجردة عن الآمال والارادة .

مع ان علم الاجتماع يعلمنا ان التطور يمكن ان يكون ارتقائياً او انحطاطياً بالنسبة الى الوضع الاجتماعي الراهن ، ومع ان هذه الحقيقة العلمية هي واضحة كالحقائق الحسابية فانه عالق في اذهان الناس ان « التطور » معناه التقدم ، والترقي . ان هذا خطأ فكري مخيف غالباً ما يؤدي الى تبلبل المقاييس الاجتماعية . وقد يكون تأثير هذا الخطأ ، طفيفاً عند غيرنا ، عند الامم الصاعدة صعوداً مستمراً في مراقي تقدمها وازدهارها ، اما نحن الذين نتلمس حقيقتنا الاجتماعية ،لنتسلح بتلك الحقيقة ونشق عنا طبقات قرون الجهل والغباوة فان هذا الخطأ الفكري المخيف يكون عاملاً هداماً قادراً ان يبقينا الى الموت الاخير ، تحت انقاض عهود الجهل والغباوة .

التطور ، معناه التحول، والتحول ليس دائماً ارتقائياً ، بل يكون احياناً انحطاطياً، خصوصاً في امم عريقة في الحضارة ولكنها نكبت باحداث هدامة .

ان هذا الموضوع الاجتماعي الدقيق يضطرنا ان نعرض عرضاً خاطفاً الحياة الاجتماعية من مراحلها البدائية الى يومنا هذا .

ظاهرة الانسان الكبرى

الحياة الاجتماعية حركة متفاعلة ، هي دورة تتكامل في تفاعلها ، والمفروض مبدئيا بهذه الحركة ان تكون تقدمية ، تنزع نزوعاً طبيعياً الى التفوق على ذاتها ، هي حركة خاضعة لعوامل التطور ، والتطور ، في الاصل ، هو قوة مندفعة الى الامام ، تسيرها الغرائز والطبائع والنزعات الحيوية طبقاً لنواميس اجتماعية حتمية ، لا تشذ عن سيرها الا اذا داهمتها عناصر طبيعية قاهرة .

هكذا كانت الحياة الاجتماعية تندفع تلقائياً في سيرها الى ان فوجئت بعض هذه المجتمعات بظاهرة اجتماعية جديدة ، غريبة ، لم تعرفها من قبل . تمخضت تلك المجتمعات عن افراد متفوقين في مواهبهم الاجتماعية تواقين الى التقدم بخطى اسرع من زحف التطور ، متمردين على كل قوى الطبيعة المعروفة الى ذلك الزمان ، مسلحين بسلاح جديد لم تعرفه الانسانية من قبل ، ذلك السلاح الجديد هو العبقرية الخلاقة .

بظهور العبقرية ، وهي طاقة اجتماعية متفوقة ، سابقة عصرها مراحل عديدة ، بدأ تحرر الانسان من الغرائز والنواميس ، منذ ذلك الحين اخذ الانسان يشعر بانه سيد الطبيعة لا عبدها ، وبان الغرائز والنواميس امست آلة عتيقة لا تصلح لتوجيه الانسان . بعد تلك الظاهرة العجيبة بدأ الانسان يضع لاجتماعيته المتصاعدة قواعد جديدة تحرره تدريجياً من سيادة العوامل الطبيعية المباشرة . بدأ يضع لاجتماعيته رسالات تقدمية هي كالمراقي الروحية العملاقة ، يصعد فيها متفوقاً على ذاته .

ظهور العبقرية في الانسان اي شعوره بتفوقه ومقدرته على التحكم بالغرائز والنواميس احدث ثورة تاريخية على الطبيعة وقواها ، واوجد وضعاً اجتماعياً جديداً يقوم على اساسين رئيسيين .

الاول — تزاوج الانسان بالارض يحميها وتحميه من الاقوام المسيرة بتقلبات العناصر تسييراً غاشماً .

والثاني — ظهور العمران الاجتماعي على تلك الارض الام متحدياً عناصر الطبيعة المخربة ، وعناصر البشرية

الغاشمة ، تلك التي لم تكن قد تحررت بعد من سيادة الطبيعة المطلقة .

بظهور العبقرية ، دشن الانسان عهداً جديداً ، ذلك هو عهد الخلق والبناء .

في هذا العهد العبقري الجديد حل العقل محل النواميس ، وحلت المناقب محل الغرائز . وكانت منذ ذلك الدهر السحيق في القدم ، عهود صراع دائم بين هذه القوى المتنازعة قيادة الانسان .

منذ ذلك الحين صار التطور والبناء من اهم المسائل الفلسفية الاجتماعية التي يجب ان تدركها الامم الناهضة ادراكاً واضحاً ، ذلك لان الامة التي انفصلت عن ماضيها المجيد منذ قرون وخربت الاحداث البربرية مجاري سيرها ومؤسساتها التوجيهية امسى من العسير عليها ان تعرف اذا ما كانت متطورة ام بناءة .

ان الامة الضائعة عن حقيقتها الاصلية لا تقدر ان تنهض ، لان حيوية النهوض والتجدد لا تستورد من الخارج ، انها تندفع من صميم الامة ، انها ايمان بالنفس يتجسد في اعمال انسانية عظيمة .

غيرنا درس وحلل واعطى الحقيقة الفلسفية الاجتماعية فتنبهت امم حية لحقيقتها ونهضت تجدد معالم حياتها القومية . هذه ايطاليا واليونان ودول البلقان كلها قد سبقتنا بحل معضلاتها الاجتماعية القومية وهذه بعد الحرب الكونية الاولى فنلندا وبولونيا وايرلندا سبقتنا ايضاً . نحن بقينا مستسلمين لواقع منحط يجمدنا في قوالبنا العتيقة ، يجمدنا ونحن نجهل اننا جامدون ، وعندما قدر لنا ان نخرج من مراحل الجهل والغباوة تهافتنا على علوم كتبية جعلت منا آلات مكتبية متكلمة ، وآلات صحية عاقلة ، وآلات هندسية تبني ، تلك العلوم كانت سموم فكرنا الجديد ، لم تحرك فينا لا فكراً ولا روحاً انما كدست في ذاكرتنا معارف كتبية استعملها الغرب فينا لخدمته ولتضليلنا عن حقيقتنا .

فلاسفة الاجتماع والمصلحون في العالم نبهوا شعوبهم الى القواعد الاجتماعية التي يجب ان يبنوا عليها حياتهم الجديدة فلم تلتبس حقيقتهم على فكرهم زمناً طويلا بل لقي تنبيه الفلاسفة والمصلحين تجاوباً في نفوسهم وهبت تلك الشعوب تبني نفسها بناء جديداً .

اما نحن فقد بقينا عبيداً لميولنا

الطائفية منقادين لمصالحنا الخاصة واهمين ان التهرب من الاشتراك في حل المعضلة الاجتماعية القومية الكبرى يؤمن مصالحنا الشخصية ويبعدها عن الاخطار. ان المصلحة الاجتماعية العامة اذا تجزأت الى مصالح خاصة واخذت كل

القي نوراً على بعض عناصرها.

التطور والبناء

منذ تمرد الانسان على قوى الطبيعة واعلن عليها حرباً ازلية، كل شعب ابدع وتفوق كان له البقاء والخلود، وكل شعب قصر في انتاج العباقرة



الاستاذ اسد الاشقر يلقي محاضرته في الندوة

منها تدافع عن نفسها بنظرة شخصية، اذ ذاك تذوب هذه المصالح كلها وتفنى المصلحة العامة ايضاً.

ولكن المعضلة الاجتماعية العامة لا تحل الا اذا وضحت وضوحاً تاماً في فكر الشعب، ولعلي في هذه المحاضرة

امسى هيكلاً مرمياً بين انقاض الشعوب المنقرضة.

فالشعوب العبقرية البناءة هي التي قادت الانسانية منذ الاف السنين ولم يكن في التاريخ اي تسوية بين العبقرية والتطور، بل كانا دائماً

منفصلين متميزين .

التطور هو فعل طبيعي تلقائي .
اما البناء فهو ابداع وتفوق .

التطور هو سنة الانسان في تقدمه .
اما البناء فهو فن الانسان في ارتقائه .

التطور هو دأب طبيعي تسيره حاجات الحياة الملحة .

اما البناء فهو نشاط العقل الخلاق والمناقب المتعطشة الى الحق والخير والجمال .

بناء يبني وبناء يتطور

سيداتي وسادتي ،

عرفنا مما سبق ان الانسان قد انقسم في مجتمعاته الجغرافية الى متطور وبناء ، وان هاتين الحالتين تختلفان اختلافاً اساسياً في القيادة ، فالاولى تسيرها قوى الطبيعة ، والثانية يقودها العقل وترفعها المناقب .

ولكن الامم البناءة قد تعرضت لاحداث مخربة في مجرى التاريخ ، فسقطت امم منها تحت سيادة شعوب متأخرة عنها في سلم الحضارة . هذا السقوط سبب لها تضعضعاً في مؤسساتها وفي افرادها ، لذلك قسمت الامم البناءة الى قسمين :

١) الامم التي تسير سيراً عادياً في القافلة القابضة على المدنية العالمية .

٢) الامم التي ضعضعتها الاحداث الساحقة ، وجمدتها سيادة الشعوب المتأخرة على وطنها فتفككت اجهزتها القومية وتبددت اتجاهاتها وضاعت تحت طغيان المظالم مثلها العليا ولم توفق بعد في استجماع قواها وبنيان نفسها .

بين هذه الشعوب المتضعضعة المتطورة انحطاطياً منذ مئات السنين يأتي شعبنا . ومهمتنا الرئيسية في هذه المحاضرة ان نبين ان شعباً عريقاً في اعتماد البناء الخلاق لتقدمه وتفوقه ، اذا ارزحته احداث هدامة قروناً عديدة ، لا يمكنه اذا طمح الى النهوض والتجدد ، ان يعتمد سنة التطور نظاماً في حياته المتجددة .

فالجماعات المتطورة يمكنها ان تصير امما بناءة ، اما الامم البناءة فلا تستطيع ولا في حالة من الاحوال ان تعود جماعات متطورة . ان انحدارها الى هذا الحضيض معناه التفكك التدريجي والانحلال .

تيارات فكريه هدامة

ان ما دفعني الى التفكير في هذا الموضوع هي اقوال خطرة ، هدامة في خطرها ، يرددها الناس كل يوم ويتناقلونها فيما بينهم كانها حكم منقولة عن عظماء

الفلاسفة كقولهم : «دوام الحال من المحال : الايام تقطع بعضها .. كل شيء له نهاية».

واذا كلمنا الناس عن حركة او نهضة اصلاحية بناءة، هدفها ترميم الامة في جميع امكانياتها ، سمعنا اراء هي حكمة الجبناء وعلم الاغبياء، كقولهم، «شعبنا غير مهيأ بعد لهذه الحركة ... انها سابقة لاوانها .. لسنا مستعدين للسير بنهضة متطرفة من هذا النوع»

والحقيقة الصارخة هي اننا اذا لم نكن مستعدين اليوم فسنكون اقل استعداداً في الغد . نحن نتطور انحطاطياً ، وتطورنا هذا يضعف فينا يوماً بعد يوم امكانية نهوضنا .

لقد استسلم شعبنا ، في قرنه الاخير بصورة خاصة الى اقوال سفسطائية منبثقة روحيتها عن عهود الجهل والخمول .

ان عقلية كهذه تترك مصيرها للاقدار الغاشمة ، هي عقلية امتثالية ضعيفة تتأثر بكل العوامل التلقائية والموجهة ، فيمسي المجتمع بدون ضابط او ارادة ، كأنه سفينة بدون ربان وبحارة .

نظرية التطور امست في مجتمعنا مرضاً فكرياً ونفسياً متفشياً في كل طبقات شعبنا وقول الناس باننا غير مهيئين بعد لنهضة تجديدية متطرفة ، هو قول يشبه غباوة الذين يقولون لعصبة من عظماء المهندسين اتحدوا ليرمموا قلعة بعلبك : «ان ترميم هذه القلعة هو سابق لاوانه فهي غير مهيأة بعد للترميم» .

ان ترك شعبنا اليوم خاضعاً لنواميس التطور بعد ان تمرد عليها منذ الاف السنين ، يشبه ترك قلعة بعلبك خاضعة لعناصر الطبيعة تزيدها تهديماً وتبديداً ، قرناً بعد قرن ، حتى تدرس اخيراً كل معالمها .

اذا اختلت مقاييس المعرفة الاجتماعية في شعب مثل شعبنا اختلت الحياة في اساسها .

اذ ذاك تنطلق تيارات فكرية متضاربة ومتنوعة تكون لها مفاعيلها السيئة ، من بلبلة فكرية ، الى تهديم فضائل قومية ، الى استسلام خائف للامر المفعول. نحن شعب ضيع مقاييسه الاجتماعية فضاع عن شخصيته الاصلية ومسخ شخصيات طائفية واقليمية. في هذه الشخصيات الطائفية الاقليمية المسيخة ضاعت معرفتنا فتعطل العقل، وتشوه شعورنا فانحطت المناقب ، ثم جاءتنا العلوم الكتبية فابعدتنا عن نفسنا وسلمتنا لارادات غريبة مغرضة .

نحن نسير ولكننا نجهل وجهة سيرنا ، نتعلم ولكن علماً خالياً من الفكر والروح .

علمونا اننا متنا ونحن احياء فصدقنا جهلهم وكذبنا حقيقتنا ، ولقنونا اننا انقرضنا كأمة فسلمنا بما لقنوا، ونحن امة غالبت بثقافتها وبشخصيتها اليونان والرومان والعثمانيين فغلبتهم . نحن الامة الوحيدة التي قال عنها المؤرخون انها فعلت في شخصية مستعمريها واحتفظت بشخصيتها : من الفرس الى اليونان الى الرومان الى العرب الى العثمانيين الى الفرنسيين والانكليز ، كلهم جاؤوا وانصرفوا وشعبنا باق ، وهو ينهض اليوم ليحل معضلته الاجتماعية القومية حلاً اخيراً .

ايها السيدات والسادة ،

في صميم شعبنا تتصارع العقائد منذ عشرين سنة لحل معضلته الاجتماعية والشعب ما يزال ينجر وراء الوثنيين الطائفيين والاقطاعيين والانتهازيين الذين يصورون له العقيدة بعبعاً مخيفاً سيحرم بيته من الراحة والطمأنينة ، فكأن شعبنا لاول مرة في التاريخ يعرف العقائد، وكأن شعبنا يتربع في الراحة والطمأنينة منذ قرون . فرب البيت يحذر ابناءه من كل عقيدة شأنها ان تحارب الحالة الراهنة ، والمدرسة تحذر الطلاب من العقائد الجديدة ، والدولة بدورها تضطهد العقائد، كل ذلك بفعل افيون التطور. فالوثنيون يقولون: لماذا انتم تستعجلون الزمان ؟ اننا سنصل الى ما تبتغون ولكن بتروّ وتعقل .

انهم لا يرون الهوة التي نحن ننحدر اليها لان جهلهم لم يعد يفرق بين حضيض الهوان وقمة العظمة ، ان لهم لذة في الموت براحة المستسلمين ، بينما هم يتهربون من حياة عزيزة نبيلة تجددها البطولة والتضحيات .

نحن ندعي الثقافة لاننا نتكلم الفرنسية والانكليزية ويتخرج ابناؤنا مهندسين واطباء ومحامين ومعلمي فلسفة ... « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟»

نحن ندعي الاشعاع لاننا اسسنا « الاهرام » و« الهلال » في مصر ، و« الهدى » و« مرآة الغرب » في اميركا ، و« العصبة الاندلسية » في البرازيل. تبا لهندسة تضع تصميماً لبيت تأوي اليه اجسادنا بينما فضائلنا ومثلنا العليا وآمالنا وارادتنا تداس بالاقدام !

تبا لطب يداوي الجسد بينما

الفكر مريض في حالة النزع .

تبا لفلسفة كتبية تعلم ضمن جدران الجامعات بعيدة عن الحياة ، وقد وجدت لخدمة الحياة والتفتيش عن حقيقتها الاصلية وغايتها الاخيرة .

تبا لمحامين درسوا القوانين والانظمة والشرائع ليعالجوا المشاكل الخصوصية الصغيرة بينما المشكلة الكبرى ، مشكلة قوانين حياتنا الجديدة ، هي متروكة للاقطاعيين الاميين .

تبا لمهندسين واطباء ومحامين وفلاسفة يستلمون من جديدنواميس التطور بينما معارفهم كانت بدء ثورة الانسان على التطور .

كم كان اجدر بفلاسفتنا ، معلمي الفلسفة الكتبية في مدارسنا ، ان يعلموا فلسفة حياتنا الحاضرة ، وان يفتشوا عن العدالة في مجتمعنا لا في جمهورية افلاطون ، كان عليهم ان يتفلسفوا في المجتمع لا في الكتب من اجل العدالة والحق والخير والجمال لان التنقيب في الكتب هو درس معلمي مدارس ، اما الجهاد في المجتمع فهو جهاد الفلاسفة .

بدأت الفلسفة المناقبية الاجتماعية بسقراط وهو كان شهيدها الاول ، لانه لم يخف من اعلان الحقيقة الفلسفية في وجه الطغاة . وقد هاجم سقراط معلمي الفلسفة بقوله : وليس الفيلسوف من عرف او علم الفلسفة ، انما الفيلسوف من مارس الفلسفة » . ان فلاحاً لبنانياً يحرث ارضه على هضبة من هضاب لبنان ، يقف هنيهة ليمسح عرق جبينه فيتأمل لحظة في ماضيه وحاضره وآتيه ، ان فلاحاً كهذا قد جمع وجدانه من الفلسفة اكثر من معلمي الفلسفة الموزعين في مدارس بلادنا .

فلنفتش اذن عن الذين يعلنون حقيقة المجتمع وحقيقة الشعب غير هيابين ولا وجلين .

اما الذين ينحدرون الى مستوى الجهلة والاغبياء ليستغلوا الجهل والغباوة فهم دجالون منافقون بل مجرمون يجب اقصاؤهم عن ميدان النشاط العام . نحن مجتمع متروك للقضاء والقدر ، مستسلم لسنة التطور منذ مئات طويلة من السنين ، ولو طلبتم مني أن احدد الزمان الذي حاولت فيه القوى البربرية تعطيل الامال والارادة في امتنا لقلت : منذ سقطت صور تحت حصار الاسكندر ، وخرب الفاتح تلك العاصمة العالمية ودمر قصورها ومكتباتها وصلب الالوف من اهلها وباع من



مشهد للحضور العديدين الذين أموا الندوة عشية الثالث والعشرين من شهر شباط ليستمعوا الى محاضرة الاستاذ اسد الاشقر ، ويبدو بينهم في الصف الامامي ، من اليسار الى اليمين: الانسة ماغي الاشقر ، السيدة عقيلة الاستاذ المحاضر ، السيدة عقيلة الاستاذ عبدالله القبرصي ، الاب خليل ابي نادر ، رئيس معهد الحكمة ، السيدة اميلي فارس ابراهيم ، الشيخ هنري الجميل ، القائم باعمال جمهورية ليبريا

تبقى منهم في سوق النخاسين كما يفعل الفاتحون البرابرة. تضعضعت شخصيتنا في ذلك الحين ولكنها عادت فرممت نفسها في المملكة السلوقية واثبتت وجودها في العهد الروماني البيزنطي ـ المسيحي وانطلقت انطلاقة قوية في العهد العربي .

اكبر خطر يرافق شعبنا في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه هو اعتقاده بانه بواسطة هذا العلم الكتبي الالي يتطور نحو الحقيقة ، بينما هو يبتعد عن حقيقته سنة بعد سنة ولو تأملنا ملياً في هذا الموضوع لتأكد لنا انه يستحيل على المدرسة تعليمنا حقيقتنا لانها هي تجهل هذه الحقيقة .

ومهما زادت معلوماتنا المدرسية ، ومهما مرت سنون على استسلامنا للتطور العلمي الحديث فان ذلك يساعد على تقليد الغرب في تصرفاته ، اما حياتنا الحقيقية فتبقى ضائعة لان التقليد يبقى تقليداً مهما طال مراسه .

نريد اذن ان نفتش عن نفسنا الحقيقية ، ان نعرفها ، ان ندرسها ، ان نحياها حياة كاملة ، ان ننطلق منها الى وجود جديد ، هو وجودنا ، والى تقدم جديد يمشي بعزمنا وبزخمنا وبارادتنا .

ان المعضلات الاجتماعية من نوع معضلتنا لا تحل بأساليب حسابية ، ولا باتفاقيات خطية بين فئة وفئة ، او بين منطقة ومنطقة ، ولا بين المتزعمين من اي نوع ، انها تحل في صميم الشعب ، في صميم الوجدان القومي ، انها تحل بالصراع .

ان الايمان بمواهبنا البناءة المتجددة هو انتصار في الصراع الفكري على استسلامنا لسنة التطور الغاشم .

ان المعرفة هي القوة العقلية الوحيدة القادرة ان تحل معضلتنا الاجتماعية ، ومتى تعاون الشعور مع المعرفة كان الادراك اكيداً .

بدأ سقراط فلسفته بهذه الحكمة الآمرة : «اعرف نفسك» . فالانسان ، في نظره ، هو محور الوجود . من عرف نفسه عرف الانسان وعرف كل شيء ، ومن جرب ان يعرف نفسه كفرد ، قادته تجربته الى معرفة نفسه في المجتمع .

فهل نعرف نحن انفسنا ؟ واذا كنا فكرنا بمعرفة نفسنا كافراد ، هل قادنا تفكيرنا الى معرفة نفسنا في المجتمع ؟

ان معرفة نفسنا ، ايها السيدات والسادة ، هي نقطة الانطلاق في حياتنا الجديدة ، وهي اول نور نسلطه على معضلتنا الاجتماعية .

قال سقراط ايضاً : «من عرف حقيقة نفسه قادته معرفة نفسه الى معرفة الآخرين المشتركين معه في حياة

اجتماعية واحدة » .

المعرفة اذن ليست مقياساً حسابياً نقيس به الاشياء التي نريد فهمها ، بل هي طاقة عقلية نسلطهـا على الاشياء الغامضة فتنجلي امام قوتها . فهل نحن درسنا معضلتنا وسلّطنا عليها قوة العقل ؟

لمس سقراط خلال سني تبشيره ومقاومته السفسطائيين قوة المعرفة وصلابتها في المقاومة والصراع وضعف الجهل وانهزامه امام المعرفة ، فقال حكمته الخالدة : « المعرفة قوة والجهل ضعف » . وقد رد سقراط كل الفضائل الاجتماعية من شجاعة وبطولة وعفة وتضحية الى مصدر واحد هو المعرفة. نحن لا نبالي بشعبنا وبوطننا لاننا نجهل شعبنا ووطننا . فاذا كانت المعرفة مصدر كل الفضائل الاجتماعية القومية فالجهل اذن هو مصدر كل الرذائل.

ان اهمالنا واجباتنا الاجتماعيــة واستسلامنا لمصالحنا الشخصية، وتهربنا من التضحية وابتعادنا عن اعمال الشجاعة والبطولة ، كل ذلك نتيجة جهلنا.

قافلة الامم البناءة تسير قدماً نحو اهدافها مجددة بناء نفسها جيلاً بعد جيل ونحن نقول في عهد السرعة اللاسلكية والقوة الذرية . «لا شيء يدوم، فلننتظر، كل شيء يتغير مع الزمان».

لا شيء يتغير اذا لم يغيره الانسان بارادته، واذا تغير بدون ارادة مصممة فلن يكون تغيره لتقوية المجتمع بل لاضعافه . الايام لا تغير شيئاً بل نحن نغير اذا شئنا ، الزمـــان هو عنصر رئيسي في الوجود الانساني ، ولكن صفته الكبرى انه عنصر نسبي بكل ما في الكلمة من معنى . فهو يكون عنصراً بناءً اذا كانت آمـــال المجتمع وارادته في انطلاقة تقدمية بناءة وهو نفسه يكون عنصراً تخريبياً اذا كان المجتمع مشلولاً في اجهزته ، مستسلماً للاقدار والصدف اي لسنّة التطور العاشمة .

نحن ضعفاء لاننا لم نعرف نفسنا، ان فكرنا اتجه نحو الصحراء ونحو الغرب، فكان امّا مجترّاً واما مقلداً . وان نشاطنا انصرف الى المهـــاجر فامسينا حقيرين في نظر نفسنا وامست ارضنا حقيرة في نظرنا . وهل احقر من ارض تهجرها لانها لا تحميك من العوز .

من نحن ؟ من كنا ؟ ومن نحن الآن ؟ ومن سنكون غداً ؟ الى اين نسير ؟ متى بـــدأنا ان نكون هذه « النحن » الصغيرة ، بعد ان كنا تلك

«النحن» الجبارة العظيمة ؟ وهل سنسير تصاغرياً الى ان نفنى، ام سندرك حقيقتنا، ونجمع قوانا، ونقف في هذا المنحدر الاجتماعي الخطر، مستنجدين عزمنا وارادتنا، مندفعين صعداً الى ان نصل ميدان القمة، حيث نجد ذاتنا ؟

كلها اسئلة تبقى بدون جواب لاننا نجهل نفسنا.

لن نعرف نفسنا اذا سلمنا نفسنا للاقدار، وللتطور، وللمدرسة، وللآباء والامهات، وللدولة، لكي يعرفونا الى نفسنا. كلها قوى ومؤسسات عاجزة عن ان تقول لنا من نحن. لن نعرف نفسنا الا بقوة جديدة من داخلنا، من مجتمعنا تنعكس علينا او منا تنعكس على مجتمعنا!

نعرف نفسنا اذا قدرنا ان نعود بشراً كل البشر، نؤمن بانسانية هذا الانسان الجوهرية الاساسية الاصلية ونكفر بكل التعاليم التي تميتنا شيعاً متناحرة، وفئات متباغضة. فهل نحن قادرون ان نكون مؤمنين بالحياة كفاراً بالفناء ؟

نعرف نفسنا عندما نقيم جسراً عملاقاً فوق قرون الانحطاط والضعف فنجتاز من عل هذه الانخفاضات المخيفة في تاريخنا، لنصل الى شعبنا الحقيقي: الى صيدا وجبيل وصور وقرطاضة الكنعانية، ودمشق الآرامية والاموية وانطاكية السورية السلوقية، وحوض البحر المتوسط البحيرة الفينيقية، وبابل ونينوى الكلدانية والاشورية.

واذا مررنا في القرن التاسع عشر: بحكم الامير بشير، واحتلال ابراهيم باشا الالباني، وبعهد القائمقاميتين ومؤامرة العثمانيين والغربيين سنة الستين وحماية الدول السبع، فلنعلم ان هذه الاحداث التي يدرسها اولادنا في مدارسنا كمفاخر، ما هي الا حقارات تاريخية عرف الغربيون وتلامذتهم من اهل بلادنا كيف يغطونها بازياء عظمات هي في حقيقتها عظمات مساخرية حقيرة.

نبدأ بمعرفة نفسنا عندما نعلم اننا نجهل نفسنا فندرس اذ ذاك نفسنا في جميع مراحلها التاريخية، في جميع اطوارها العقائدية، في جميع الاحداث المدمرة التي طرأت عليها، في جميع الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي وجدت في بلادنا، اذ ذاك نقدر ان نتقصى حقيقتنا الاجتماعية، اذ ذاك يتبدد جهلنا وتفنى غباوتنا وتنطلق من داخلنا قوة جديدة تسيرها المعرفة. ان معضلتنا الاجتماعية القومية اذن

هي من اصعب المعضلات العالميـــة ، واكثرها ، تعقيداً ، واصعب بند من بنود هذه المعضلة هو البند الاول المتعلق بحقيقتنا الاجتماعية والقومية . ليس سهلاً على شعب تعطلت ارادته القومية منذ قرون عديدة ان يهتدي بسرعة الى حقيقته الاصلية بين هذه الانقاض من القرون المدمرة خصوصاً وكل الذين سبقونا في الكتابة عن لبنان قد حصروا تاريخ لبنان وامجاد لبنان في شخصيتين هما فخر الدين المعني الثاني ، والامير بشير الشهابي الثاني ، هذان الاميران يؤلفان حلقتين من سلسلة الاقطاعية الطويلة ، تلك التي كانت احط مراحل الانسانية في كل مكان ، وتلك التي لا يفتخر بها اي شعب من شعوب العالم ، وتلك التي لم تمكـن حتى فخر الدين الثاني الفذ من كسر نطاقهـــا رغم محاولاته العديدة .

ان معرفة الشعب نفسه بعد ان جهلها مئات طويلة من السنين تبدو له كأنها ظاهرة غريبة ، تشبه ظاهرة العبقرية عندما ظهرت لاول مرة في حياة الانسان . والحقيقة هي ان هذه المعرفة الحقيقية الجديدة يكون لها ذات الفاعلية التي كانت للعبقرية عندما ظهرت لاول مرة خصوصاً عندمـــا يدركها الشعب ولا يتهرب مـــن مسؤولياتها .

كثيرة هي الشعوب التي لم تقدر ان تتعرف الى نفسها من جديد بعد ان ضيعت حقيقتها قروناً طويلة . وهيا كل هذه الشعوب مرمية انقاضها في مجاري التاريخ تدرس اليوم كما تدرس المومياءات في قبور الفراعنة . فهل تكون نهايتنا كنهاية هذه الشعوب المنقرضة ام نلتقي بنفسنا ونجدد معالم حياتنا ؟

ذلك خاضع لعاملين رئيسيين :

١) العبقرية الخلاقة العاملة لتنشر حقيقتنا من جديد .

٢) والحيوية المخزونة المستعدة للنهوض والتجدد .

فاذا تجاوب هذان العاملان لبناء حياتنا الجديدة بدأت عناصر معضلتنا تنحل واحد بعد الآخر ، وبدأ الشعب يبني حياته الجديدة حجراً حجراً وفكراً فكراً .

لا تغرر بكم مظاهر الحياة المتقدمة ، انها كالاعشاب النابتة على الصخور او على قارعة الطرق ، لا تلبث ان تيبس لاول نفحة من الحر ، ولاول وطأة من اقدام الفاتحين .

ان العوامل الخارجية مهما بدت

كأنها تبني حياتنا فانها في الحقيقة تستنزفها ، الحياة الحقيقية لا تبنى الا بقوة من داخلنا ، وداخلنا هو هذه الشخصية الاجتماعية القومية المسجونة فينا والممتدة الى الاف السنين عبر التاريخ والمصارعة اليوم لتحقق نفسها من جديد .

لا نفهم نفسنا الا اذا عرفنا معرفة صحيحة كاملة بعيدة عن الوهم والغرور من هي امتنا ؟..

امتنا هي اول امة في العالم شعرت بشخصيتها وتفوقها ، تمردت على حدود البحر اليابسة فصار البحر ميداناً جديداً لنشاطها ونشاط الانسان وصارت اليابسة في بلادنا وفي القفار المجدبة البعيدة جنات تجري من تحتها الانهار .

نحن اول امة سطت على العناصر الثائرة فكبحت جماحها ، وسخرتها للعمران البشري وتسلحت بالآمال الزاخرة والارادة المصممة وحملت حرفها وفكرها وانطلقت نحو الافاق البعيدة ، ترسي على سواحلها وتبني بحضارتها شعوباً جديدة ، معلنة عهد العبقرية ، وزوال عهد الغرائز والنواميس ، رافعة الانسانية على اجنحة نسرية غلابة ، تنقل الانسان من جو الى جو ومن محيط الى محيط ، من حياة ساذجة يدفعها التطور الكسول الى حياة متوثبة لا يرضيها الا الخلق في البناء والعمران .

هي اول امة في العالم كانت لها ارادة في البناء لا ترد :

فعلت ارادتها وهي سيدة معلمة ،

وفعلت ارادتها وهي صامتة مسودة .

علمت وعلم السيادة والانتصار يخفق فوق شراعها ،

وعلمت ونير الرومان على كتفيها .

بشرت عندما كان لسانها لسان الانسان ،

وبشرت عندما كان الظلم يكم فمها .

ارادت عندما كانت ارادتها سيدة العالم القديم ،

وارادت عندما كبلت ارادتها بالسلاسل .

لم تشأ هذه الامة في تاريخها القديم ان تخضع لارادة بربرية مخربة :

في صور المقدسة قاومت الاسكندر المتجبر حتى الموت البطولي الخالد ،

وفي قرطاضة قاومت رومة المعتدية الخائنة حتى النفس الاخير .

وعندما ظهرت نهضة العرب تحركت



مشهد ثان لامسية الاستاذ الاشقر في الندوة

•

من تحت سبعة قرون من الاستعمار الروماني وتعاونت مع الامويين في فتوحاتهم ، فكان العمران في الاندلس عمراننا .

قبل ان يصير الزحف على قرطاضة لتدميرها قبل سانسورينوس القائد الروماني المجرم ان يعود شعب قرطاضة الى الحياة الزراعية الاولى ، بعيداً عن المدينة - الدولة ، قصيباً عن مكان امجاده وعظمته ، غائباً نظره عن زرقة البحر ومراسي الشواطىء المجيدة ، مجرداً عن اماله وارادته ، يفنى تدريجياً في حياة امتثالية ، خاضعاً من جديد لسنة التطور .

رفضت قرطاضة نصيحة سانسورينوس المجرم وانتحرت بارادتها وبطولتها ، لانها علمت في ذلك الماضي البعيد ان التنازل عن الامال والارادة البناءة سيكون حتما موتاً تدريجياً بطيئاً يغمره الذل والهوان . اتقولون لي : كان ذلك قديماً ؟ فاجيبكم بل هو كائن اليوم . ان شعباً تشتته المظالم وتبدده الاوضاع المنحطة شريداً في مجاهل العالم ليتلاشى ، فتستيقظ عبقريته ، عندما يخرج من هذه البيئة المسممة فيعمر مجاهل العالم ، ان شعباً هذه فضائله البناءة ومواهبه المتفوقة لا يمكن ان يفنى .

ان شعباً شريداً يبني للفرنسيين والبريطانيين مدن مستعمراتهم الافريقية

ويشق السبل في الادغـــال لينشىء الحياة المتحضرة ، ملقناً الزنوج وسائل الحضارة ، مبرهنـــاً لتلك الاقوام البدائية انه بنـاء خير اكثر من مستعمريهم ، وانسـاني اكثر من معلميهم ، وعادل اكثر من قضاتهم — ان شعباً هذه فضائله هو شعب سيادة نفسه ما تزال مخزونة في نفسه وفضائل عبقريته ما تزال تشع من تحت ظلمات القرون المتكدسة عليه .

ان عوامل التخريب الاجتماعي قد انتصرت في بلادنـا على المجتمع ، على الوجدان القومي . امـــا الفرد فلم تتمكن تلك العوامـــل من تدمير شخصيته . ولكن مـا هو مصدر هذه القوة المندفعة من داخلنا والتي ستوحي لنا حقيقة نفسنـــا ؟ المصدر هو وعي باطني ، وجداني، لا تعرفه الا الشعوب الخلاقة ، هو نوع من الخلق الوجداني يتحول الى معرفـة فـاعلة ، معرفة دينميكية ، معرفة وجدانية ، معرفة فلسفية ، مصارعة في سبيل الحق والخير والجمال .

ومتى تسلحت هذه القوة بالمعرفة والآمال والارادة ، تمزق بعزمهـــا الصاعد كل الاردية المكدسة علينا حتى امست جزءاً منا ، وجوهاً كاذباً ملتصقاً بجوهرنا الصادق لا ينفـك عنا الا بهذه القوة المندفعة من داخل نفسنا .

ولكن الغريب في شعبنا وهو اول شعب في التاريـخ تحرر من نواميس التطور التلقائي البطيء هو انه عاد اليوم في هـذا العصر من النهوض القومي البناء في العالم كله ، عاد اليوم يرمي مصيره في احضان التطور كما يسلم المرء طفلا عبقرياً عريقاً في الحضارة الى جماعة متوحشة كي تهتم بتنشئته .

أيجوز للذي كان بناء مبدعـاً وخلاقاً عبقرياً اربعين قرناً قبل المسيح ان يمسي متطوراً بدائيـاً عشرين قرناً بعد المسيـح ؟ وهو هو نفسه ، باق بصلابته الشخصية وقوة الاستمرار ، لا يعطي المكان لغيره ، ولا يعي وجوده القديم والحاضر ، بل يزحف زحفاً وراء قوافل البقاء ، بينما الذين اخذوا حضارته يسخرون معـــارفه لسيادتهم وتفوقهم .

حتى ان الشعوب التي لم تنكب باحداث هدامة ، اذا استمرت قروناً طويلة جامدة في قوالب تقاليدهـــا وعاداتها ولم تلد عبقرياً يجدد حيويتها ، اذ ذاك تبـدأ بالتحجر ، والكاتب الاجتماعي الفرنسي الكبير G. Le Bon

قد نوه عن هذه الحالة في كتابه : (الحضارات الاولى) يقول :

« ان الشعوب لا تحيا الا بشرط احترام عاداتها وتقاليدها ولا تتقدم الا بمعرفة التخلص في الوقت الموافق من نير هذه العادات والتقاليد اذا صارت عديمة الجدوى او مضرة . ما اصعب حل هذه المشكلة التي يظهر للقارىء تناقض وجهيها . انها من اصعب المشاكل التي تتطلب الحل . والتاريخ مليء بانقاض الامم التي زالت لانها لم تعرف كيفية الوصول الى هذا الحل . »

فاذا كانت الامم التي لم تنكب هي مضطرة ان تراقب باحساس مرهف عاداتها وتقاليدها لتعرف كيف تتخلص منها عندما تصبح عتيقة بالنسبة الى زمانها الجديد ، فكم تكون بحاجة الى التجدد تلك الامم التي توالت عليها الكوارث فبددت عاداتها وتقاليدها الاصلية ، ونشأت في حياتها القومية عادات وتقاليد غريبة عن نفسيتها ؟

اتقدر الغرائز والنواميس ان تعرف متى تمسي العادات والتقاليد عديمة الجدوى او مضرة ؟ ان فكر العبقري فقط هو قادر ان يعرف ذلك .

ان هذه الفكرة الفلسفية الاجتماعية التي جاء بها Le Bon قد قضت قضاء نهائياً على الغرائز والنواميس واعطت القيادة للعبقرية . ومهما تغنى الناس بالنظام الجماهيري الديمقراطي فانهم في النتيجة سيعلمون انه اذا كان نظامهم خالياً من العبقري المؤسس والبناء الموجه فان ديمقراطيتهم تتحول الى فوضى ديماغوجية مخربة تحكم الاقطاعيين والانتهازيين برقابهم وبمصيرهم . اما اذا استناروا باشعاع العبقري ودرسوا تعاليمه الجديدة وبنوا انفسهم بنياناً جديداً على الحقيقة الواقعية لا على الاوهام والهواجس والعواطف المشوهة فانهم يصلون بعدئذ الى النظام الشعبي الحقيقي ، ذلك الذي يمثل حياتهم الحقيقية ومصيرهم الظافر .

لا شيء مستحيل على الامم البناءة عندما تستيقظ وتعي حقيقتها ومسؤولياتها وتعبىء من جديد آمالها وتدفع ارادتها المصممة في طريق التحرر والتجدد .

اني لمتأكد ان انسانية هذا الانسان البناء — انساننا — ستتغلب في النهاية على كل المذاهب التي قيدته في دوائر معينة ، وستتبدد كل التيارات المغرضة المزججة شخصيته ومصيره في اكف الاقدار والمطامع .

انا مؤمن بان في هذا الانسان



المستمعون يتابعون بانتباه تام الحديث عن « المجتمع بين التطور والبناء »

•

نزوعاً ابدياً خالداً الى التحرر من عبودية الماضي ليكون سيّد الحاضر والآتي.

وليس من مذهب في العالم يقدر ان يستأثر بالانسان الى الابد. عندما تمسي رسالة الماضي عاجزة عن تغذية الانسان في حاضره، اذ ذاك ينزع الى التحرر ويفتش في داخله عن رسالة اسمى يتغذى منها في دهره الاني. لقد افلس كل ما جاء به المستعمرون في قرون ضعفنا، اما شعبنا فهو باق يفتش عن رسالة الحياة الجديدة.

ايمكن ان يكون المذهب اقوى من الغرائز والنواميس؟ لقد تغلب عليها الانسان البناء عندما وجدها مقصرة عن مرافقته في تطورها البطيء، والمذاهب التي نخاف منها في بلادنا هي اعجز بكثير عن كبت انسانية الانسان الى الابد.

منذ نحو ربع قرن اعطى شعبنا اشارة النهوض والتجدد وانتقل مجتمعنا من حياة الامتثال والخضوع الى حياة الصراع العقائدي لتصفية العقائد الاجتماعية في عقيدة واحدة هي عقيدة الحياة المتجددة.

وصراع العقائد يقوم على البناء لا

على التطور واول انتصار سجلته معركة الصراع الجديدة هو اندحار فكرة التطور امام البناء الاجتماعي الجديد . ان التهرب من معركة الحياة المثلى هو استسلام للحياة الحقيرة، لحياة الذل والهوان . وان انتظار تصفية العقائد في عقيدة قومية اجتماعية واحدة عن طريق غيرنا من المواطنين هو جبن وتجرد من الرجولة .

المعركة تدور بيننا ونحن مستسلمون لصالحنا الشخصية وللحياة الفردية المرفهة بينما المجتمع في خطر الانهيار الاخير .

هكذا حدث لاجدادنا القرطاضيين عندما كانوا معرضين للصراع ضد الامال الرومانية الصاعدة ، والارادة الرومانية المصممة ، انهم تهربوا من الصراع في المراحل الحربية الفاصلة ولم يتنبهوا الا في المعركة الاخيرة ، اذ ذاك لم تنفعهم البطولة والتضحيات فتبعثروا في الصحراء الافريقية الى الابد .

وهكذا حدث لاجدادنا العرب عندما تحجرت رسالتهم في طقوس طائفية وتقاليد وعادات جامدة ، فاستسلمت للعثمانيين استسلاماً دينياً افقدها كل مصالحها وحقوقها ومواردها ومرافقها ومنابع فكرها ولم يبق لها الا الجوامع والكنائس والاجراس والمآذن .

•

ان الامم العبقرية ، ايها السيدات والسادة ، لا تجتر رسالاتها الاصلاحية ، والرسالة الحقيقية لا تعطي نفسها الا مرة واحدة ، لانها تأبى ان تكون اجتراراً ، ولانها تؤمن بان القوة العبقرية التي ولدتها ستتمخض برسالة تابعة لها .

لا تستمدوا قوة تجديدية من رسالاتنا الماضية ، لقد هضمت نفسنا كل فاعليتها وكل عناصرها الفكرية والروحية ولم تعد قادرة ان تعطينا الا تحفزاً لخلق جديد من فكرنا الخلاق .

فهل لنا ، ايها السيدات والسادة ، وقد بدأ الصراع في مجتمعنا ، ان نشترك في معركة الصراع القومي الاجتماعي لنقيم في امتنا وضعاً جديداً قائماً على سيادة الحياة القومية الاجتماعية؟ ان بدء الصراع العقائدي في امتنا هو بدء حل المعضلة الاجتماعية وهو القضاء على فكرة التطور في شعبنا الناهض المؤمن من جديد بانه معلم في الخلق والبناء .

•

الخلاصـة

ايها السيدات والسادة ،

لقد استعرضنا في هـذه المحاضرة نظريات علمية اجتماعية اخذنا اكثرها من صميم مجتمعنا ، اهمها ان التطور عند الامم المتفوقة ، من نوع امتنا ، امسى منذ آلاف السنين ، آلة عتيقة لا تصلح للتقدم ، وان البنـاء الاجتماعي الذاتي وليد العبقرية الخلاقة ، هو آلة المجتمعات الراقية من نوع مجتمعنا ، وان الامم التي اعتمدت البناء الخلاق منذ الاف السنين لا تقدر ان تستسلم من جديد الى عوامل التطور اذ يمسي تطورهـا انحطاطياً .

ان ما يسود بلادنا اليوم هي نتائج قرون الانحطاط ، وانتصار المثالب على المناقب الاجتماعية . ولا يجوز ان تبنى اية نهضة على هذه النتائج الاجتماعيـة السياسية الحقيرة ، كما لا يجوز ان نترك هذه النتائج تجر مجتمعنا الى الهاوية .

النهضة الحقيقيـة هي قوة كامنة في شخصية المجتمع تختمر في قرون الانحطاط بانطلاقة جديدة في فترة آتية من الدهر . وعندما تتمخض الامة بانطلاقتها هذه تدفعها من صميم احشائها ، من جوهر حيويتها لا من محاصيل القرون المنحطة . ألم تشعروا خلال العشرين السنة الاخيرة ان امتنا تتألم في مخاض جديد ، انهـا كانت عاقراً خلال قرون طويلة ، انها كانت تجتر ما اعطت قديمـاً ؟ ان المجرمين سمموا جسمها كي لا تلد ، لذلك هي تألمت وآلامها كانت مميتـــة ، ولكنها في النهاية اعطت مولودهـا الجديد .

فتشوا اذن عن الاساس الفكري والاساس المناقبي لنهضة شعبـكم ، والاساسان وضعـا عندما بدأ الصراع العقائدي في لبنان لتصفيـــة العقائد والنزعات في عقيدة واحدة هي عقيدة الحياة القومية الاجتماعية الجديدة .

ان معركة الصراع قد بدأت ولا يتهرب منها الا الجـاهل والخائف واللامبالي ، وكل من هؤلاء هو عدو شعبه .

العقيدة بالحياة هي حياة الامة . امة بدون عقيدة قومية هي امـة بدون روح . نحن امة دبت فيهـا حرارة ايمان جديد فجر في نفسها فضائل جديدة وبطولات جديدة .

ان قضية وطننا وامتنا هي اطروحة الشعب الحاضرة ، وعلى كل فرد مـن الشعب ان يدرسها ويعطي رأيه فيها .

عندما تفشل مؤسساتنا العامة في توجيه الشعب اذ ذاك تقع المسؤولية



من جديد على الشعب نفسه ، ومتى قلنا الشعب قلنا بالدرجة الاولى نخبته المفكرة الشاعرة بالمسؤولية .

المعرفة هي الفضيلة الاجتماعية الاولى والمعرفة لا تعطى ولا تؤخذ . انها كالسيادة القومية تبنى حجراً حجراً وتجمع فكراً فكراً .

من يظن ان المعرفة ستأتيه عفواً وهو غافل عن التفتيش عنها يضل ضلالا اكيداً .

ان المعرفة هي اساس حياتنا الجديدة وهي المصباح الذي سينير طرقكم .

ان انوار النهضة الجديدة وليدة العبقرية البناءة تشع بينكم . لا تخافوا وهج انوارها بل صوبوا انظاركم اليها كما تصوب النسور انظارها الى الشمس .

للناس مشاريع اصلاحية جزئية عديدة ، وللنهضة ايضاً مشاريع عديدة ، ولكني اقول لكم ان المشروع الاكبر والاهم والاسبق هو مشروع اصلاح المجتمع والدولة . وما لم ننته من تحقيق هذا المشروع فعبثاً نحاول اي اصلاح جزئي ، بل كل اصلاح جزئي يكون تخديراً للشعب وملهاة عن الاصلاح الشامل كل تشعبات الحياة .

ان لبنان هو بلد النهضة الحقيقية في وطننا العظيم ، واللبنانيين نبراس هذه الامة في وثبتها الجديدة .

لنبن نفسنا بنياناً جديداً ، كما قال بولس الرسول ، والشعوب التي تجدد بنيان نفسها هي الشعوب الباقية في ميدان تنازع البقاء .

) البناء كان صنعتنا لم نتخل عنه في ايام بؤسنا ، وها نحن نعود اليه في نهضتنا فهاتوا ايديكم لنتم البناء .

ان التطور ينهزم من جديد في امتنا ، والعبقرية البناءة تسجل انتصاراً جديداً في التاريخ .

اسد الاشقر

DATE DUE

